﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: 25 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقال من ذكرِ القصَّة إلى ذكر النَّتيجة

بعد أن بينتِ الآية السّابقة إرشاد النبيِّ ﷺ لما يقول إذا وقع نسيانٌ في تعليق المشيئة بما يريد، رجع النَّظم بالعطفِ على قصة أصحاب الكهف، بعد أن تخلل الاعتراض بينها بقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿رَشَدٗا﴾، "فجاء هنا إتمام هذه القصَّة فكانت هذه الآية كالنَّتيجة الَّتي خُتمت بها القصَّة مبيِّنة المدَّة الَّتي مكثها هؤلاء الفتية في كهفهم، ثم تُعلن أنَّ الله تعالى هو الأعلم بمدَّة لبثهم لا غيره، وأنَّه هو الَّذي تولَّى أمرهم حفظًا وصيانة وإبقاءً وتخليدًا لذكراهم ورفعة شأنهم، ولمّا "كان علم مدَّة لبثهم أدق وأخفى من علم عددهم، شرع في إكمالها مبينًا لهذا الأخفى"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَبِثُواْ﴾: (لبث) أصل يَدُلُّ على تَمَكُّثٍ، يُقالُ: لَبِثَ بالمَكانِ[2]، أقام به ملازمًا له، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ﴾ [العنكبوت: 14][3]، فمعنى لبث يدور حول "ملازمة للمكان ممتدَّة، وهي المكث في المكان، وليس في القرآن من التَّركيب إلّا اللُّبث المكاني أو الزَّماني وهو منه"[4].

2) ﴿وَلِيّٖ﴾: (ولي) أَصْلٌ يَدُلُّ على قُرْبٍ، مِن ذلك الوَلْيُ: القُرْبُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 43.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لبث).
(3) الراغب، المفردات: (لبث).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لبث).

يُقالُ: تَباعَدَ بَعْدَ ولْيٍ، أَيْ قُرْبٍ، وجَلَسَ مِمّا يَليني، أَيْ: يُقارِبُني، والوليُّ: المَطَرُ يَجيءُ بَعْدَ الوسْميِّ، سُمّيَ بذلك لِأَنَّهُ يَلي الوسميَّ، ومِنَ البابِ المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَقُ، والصّاحِبُ، والحَليفُ، وابْنُ العَمِّ، والنّاصِرُ، والجارُ، كُلُّ هَؤُلاءِ مِنَ الوليِ وهو القُربُ، وكُلُّ مَنْ ولِيَ أَمرَ آخَرَ فهو وليُّهُ، والبابُ كُلُّه راجِعٌ إِلَى القُرْبِ[1]، والولاء يكون في الدّين، والصّداقة والنّصرة والاعتقاد، والوِلايَةُ النُّصْرةُ، والولايَةُ: تَولّي الأمرِ، وقد يقال: اللّهُ تعالى وليُّ المؤمنين ومَوْلاهُم، فمِنَ الأوَّل قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: 257]، ومن الثاني قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: 63][2]، ومعناه في الآية: الناصر، أي: ما لهم من دون الله من ناصر ومعين.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

الخبر اليقين والدليل الصّادق لبيان عدد الفتية ومدَّة لبثهم

أخبرتِ الآيةُ عن مقدار المدَّة الَّتي مكثها هؤلاء الفتية في كهفهم من يوم رقادهم فيه إلى أن بعثهم الله ﷻ، وهي: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، وهذه مدَّة إقامتهم فيه، وهذه المدَّة المذكورة حسب السَّنة القمريَّة معادِلةً ثلاث مائة بالسَّنة الشَّمسيَّة لكون التفاوت بين كلِّ مائة سنة قمرية إلى مثيلتها ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، ثمّ أنهى كلَّ هذا بتذييلٍ جاء مضمونه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ لتفويض أمر علم ذلك إليه ﷻ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها:

القول الفصل في مـدَّة لبثهم في الكهف

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ واو العطف، وهي إمّا أن تكون قد عطفت الجملة على مَقولِهِم في قَوْلِهِ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، "أَيْ ويَقولونَ: لَبِثوا في كَهْفِهِم، ليَكونَ مَوْقِعُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).
(2) الراغب، المفردات: (ولي).

قَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ كَمَوْقِعِ قَوْلِهِ السّابِقِ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، وعَلَيْهِ فلا يَكونُ هَذا إِخْبارًا عَنْ مُدَّةِ لُبثِهِم، وعَنِ ابنِ مَسعودٍ أَنَّهُ قَرَأَ: (وقالوا لَبِثوا في كَهْفِهِم) إِلَى آخِرِهِ، فذلك تَفسيرٌ لِهَذا العَطفِ، ويَجوزُ أَن يَكونَ العَطفُ على القِصَّةِ كُلِّها، والتَّقْديرُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ إِلَى آخِرِهِ، وهُم لَبِثوا في كَهْفِهِم ثَلاثَمِائَةِ سَنَةٍ وتِسْعَ سِنينَ"[1]، والتَّقدير الثاني قريبٌ من معنى الاستئناف.

نكتةُ استعمال اللّبث دون النَّوم:

اللّبث طول ملازمة للمكان والنوم يسير الانقطاع

جاء التَّعبير بمفردة اللبث في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾، واللُّبث بالمكان هو الإقامة فيه، والملازمة له، بينما النَّوم فيُطلق على المدَّة اليسيرة من استرخاء أعصاب الدِّماغ[2]، ولمّا كان نومهم ليس كنوم بقيّة البشر، كان الأنسب لنوم هؤلاء الفتية هو استعمال مفردة اللبث، وفيه استعارةٌ حيث شُبِّه رقاد الفتية ونومهم في هذه المدَّة في الكهف باللبث الذي هو الإقامة والملازمة مع عدم حركة أو سماع ونحوهما، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيَّة.

فائدة إضافة الكهف إلى الضَّمير:

تشريف المكان بتخصيصه بأصحابه

أضيف لفظ الكهف في قوله تعالى: ﴿كَهْفِهِمْ﴾ إلى ضمير الغيبة العائد على الفتية، تخصيصًا لهم في كونه كهفًا خاصًّا بهم لا بغيرهم حتَّى صار معروفًا ومشهورًا بهم، مع ما في الإضافة من تشريفٍ لشأن الكهف في كونه حاضنًا للمؤمنين، وتوحي الآية أنَّ هذا الكهف خاصٌّ بالفتية، إذ هو كهفهم الذي لن يكون لغيرهم، ولذلك فهو على وجه اليقين ليس معروفًا، وهذا سرُّ انتشار الأقوال الكثيرة في تعيين الكهف في مواضع كثيرةٍ في العالم الإسلامي.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 300.
(2) الراغب، المفردات: مادتي: (لبث، نوم).

دلالة استعمال ﴿سِنِينَ﴾:

الأغلب أن يساق الـذَّمّ مع لفظ (السّنين)

آثرَ النظمُ الكريم استعمال لفظ ﴿سِنِينَ﴾ دون (أعوام) في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾، وذلك للإشارة "إلى ذمها بما وقع فيها من علوِّ أهل الكفر وطغيانهم؛ بما أوجب خوف الصديقين وهجرتهم"[1]، وهذه الإشارة هي مما يقع في باب اللطائف.

معنى الواو ودلالتها:

دقّـــةُ الـنّـظـم القرآنيّ في بيان الأخبار

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ للعطف، وهي معطوفة على الخبر السابق: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾، فيكون التقدير: (وازدادت مدّة لبثهم تسعًا)، وهذا تعبير دقيق عن عدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف في كهفهم.

بلاغة إسناد اللّبث والازدياد لأصحاب الكهف:

لو اطّلعتم على الغيب لاخترتم الواقع

أسند فعل اللبث والازدياد إلى أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ على سبيل المجاز العقلي، حيث أُسند فعل الازدياد إلى الفتية، والذي زادهم هو الله تعالى، ونكتةُ ذلك بيان أنَّ الزيادة كانت كأنَّها صادرة عنهم، وأنَّهم لو خُيِّروا لاختاروها، لما فيها من مصلحة راجحة لهم، كما جاء في قول بعضهم: (لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع).

علّة فصل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾:

الله تعالى هو الأعلم بمدَّة لبثهم

فصلت هذه الجملة عن سابقتها لكونها استئنافًا فلمّا قيل: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ أمر ﷺ أن يردَّ العلم إلى الله تعالى ردًّا على مقالهم وتقييدًا له فهو الأعلم بمدَّة لبثهم تلك.

توجيه المتشابه اللفظي:

جاء اختيارُ عنوان الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 43.

بِعِدَّتِهِم﴾، بينما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ فذكر عنوان الألوهية، والجملتان في سياق إثبات العلم لله تعالى، فيُسأل عن ذلك:

الزّمان لله وحدَه إيجادًا وتقديرًا

والجواب: أنَّ الأولى في عدد الأشخاص الذين رعاهم الله تعالى ورزقهم وهم نيام، والثانية في عدد السنين، والزمان كله لله تعالى، فذكر العلم في الأولى لتعلقه بعلم التربية والرعاية، والثانية لتعلقه بعلم الغيب، فأوثر لكل سياق ما يناسبه، كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [المزمل: 20]، فبدأ بذكر عنوان الربوبيّة فيما يتعلّق بقيام الليل وهو عبادة؛ لأنَّ الأمر متعلق بالرعاية والعناية، بينما ذكر عنوان الألوهية فيما يتعلق بالزمن ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [المزمل: 20].

وجه ذكر صيغة أفعل التفضيل:

كـلُّ عـلـمٍ دون علم الله تعالى فـلـيـس بـعـلـمٍ على التَّحقيق

لسائل أن يسأل عن وجه ذكر اسم التفضيل ﴿أَعۡلَمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾، وتوجيه ذلك أنَّه إن جعلنا قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ من قيل النّاس، أي: ويقولون: لبثوا في كهفهم كيت وكيت، فصيغة التَّفضيل على بابِها، بإسناد العلم لله تعالى، وأنَّه الأعلم بحقيقةِ اللبث، كما سبق بيانه في معنى الواو، وإن كانت من كلام الله تعالى، فيُسأل عن نكتة استعمال صيغة التَّفضيل؟! والجواب: أنَّ ذلك من باب القطع بما كان من لبثهم، فيكون ردًّا على مزعومٍ غير مذكورٍ في السياق، فبعد أن أخبر أنَّهم اختلفوا في عددهم، أشار إلى أنَّهم مختلفون في لبثهم، وقطع ذلك بأن أخبر أنَّ الله أعلم بما لبثوا على الحقيقة؛ بقصد تفويض الأمر لله تعالى، فهذا توجيه اختيار اسم التفضيل في هذا السياق.

معنى حرف الباء و(ما):

حرفُ الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا لَبِثُواْ﴾ للتَّعدية، حيث تعلّقت بصيغة ﴿أَعْلَمُ﴾، و(ما) إما أن تكون موصولة، أي: أعلم بالذي لبثوه، أو مصدريَّة، أي: بلبثهم.

فنُّ الجناسِ في ﴿لَبِثُواْ﴾:

الجناس في قوله تعالى: ﴿لَبِثُواْ﴾ الواردة في مطلع الآيتين: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾، جناس اشتقاقي تام.

بلاغة استعمال اللام في ﴿لَهُۥ﴾:

أفادت اللّام في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الاختصاص العلمي، أي: أنَّ علم غيب السماوات والأرض له تعالى دون غيره من الخلق، وفيها معنى التَّعليل، أي: هو أعلم بما لبثوا؛ لأنَّه تعالى يعلم الغيب وحده، فأفاد اختصاصَه بالعلم تعليلُ عدم علم من دونه سبحانه في شأن الغيبيّات.

الاختصاص يُفيد التَّعليل السّياقي

نكتة تقديم المسند على المسند إليه:

قُدِّم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للتخصيص، أي: علمُ غيب السماوات والأرض لله ﷻ لا لغيره، وهو ردٌّ على الَّذين يزعمون علم خبر أهل الكهف على التَّحقيق.

تخصيص الله بعلم الغيب توحيدٌ محض

معنى إضافة ﴿غَيْبُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

أُضيف لفظ ﴿غَيْبُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والغيب أوسع من ذلك بكثير، وذلك لأنَّ الإضافة إلى هذين الأمرين يدخل فيهما كلُّ ما يتصوره الإنسان من عالم الغيوب، وما يقع تحت الإدراك لا يخرج عن السماوات والأرض، فأثبت علم غيبهما له تعالى دون سواه، "ومن كان عالمًا

التَّنبيه على الأدنى بذكر الأعلى

بغيب السماوات والأرض، يكون عالمًا بهذه الواقعة، لا محالة وهو إله السماوات والأرض ومدبِّر العالم له غيبُ السَّماوات والأرض"[1]، فأثبت الأعلى للتَّنبيه على الأدنى، ولبيانِ أنَّ إدراك البشر محدود في مثل هذه الحادثة فكيف بما هو أعلى منها؟! ففيه تنبيهٌ على قصور علم البشر، وسعة علم رب البشر سبحانه.

غرض التَّعجب وبلاغته:

ليس لله مثيلٌ في إدراكِ ألطف الأشياء وأكبرها حجمًا

اشتمل قوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ على صيغة تعجُّبٍ من إدراكه المسموعات والمبصرات، وذلك "للدَّلالة على أنَّ أمره في الإدراك خارجٌ عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجمًا وأكثفها جرمًا، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر"[2]، وفي استعمال صيغة التَّعجب تنبيهٌ على أنَّ النّاس ليس بمقدورِها درك هذه المسموعات والمبصرات، فهو خلاف ما يظنّونه ويعتقدونه مِن قدرتهم على الإحاطة، فإنَّ التعجب مِن علم الله تعالى دليلٌ على انتفائه عن غيره، وهذا غرض التَّعجب.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتها:

نفي وجود الوليّ على التَّحقيقِ من دون الله تعالى

أداة ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ نافية ولها صدر الكلام، وهي تدخل على الأسماء والأفعال، وهي هنا بمعنى ليس لكونها اسميَّة ترفع وتنصب على لغة الحجازيين، والمراد بها نفي الولاية عن هؤلاء.

بلاغة تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهُم﴾:

تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ للتخصيص، أي ما لهؤلاء على وجه الخصوص وليٌّ من دون الله تعالى، وذلك على سبيل المبالغة.

(1) ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب: 12/ 467.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 481.

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتها:

لا وليَّ على الحقيقة إلّا الله تعالى

حرف ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ إبطالٌ لِولايَةِ آلِهَتِهِم بِطَريقَةِ التَّنْصيصِ على عُمومِ النَّفْيِ بِدُخولِ ﴿مِّن﴾ على النَّكِرَةِ المَنْفيَّةِ[1].

بلاغةُ استعمالِ لفظِ ﴿دُونِهِۦ﴾:

لا وليَّ من دون الله إلا وهو دون الله تعالى

لفظ دون يدلُّ في أصل استعماله على القاصر عن الشيء، والمعنى: ليس لهم مَن يتولّاهم من دون أمر الله تعالى، وهي نقيض فوق الَّذي يدلُّ على العلوِّ والتَّقدُّم، واستُعمل في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾؛ لبيان أنَّ كل ما يُزعم أنَّه وليٌّ من دون الله تعالى فهو دون الله تعالى.

نكتة تقديم نفي الولاية على نفي الإشراك:

إبطال الولاية المزعومة مقدّمة لإبطال الآلهة الموهومة

قُدِّم ذكر نفي الولاية في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، وعُطِف عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، وهو نفي أن يُشركَ سبحانه أحدًا في حكمه، وذلك لأنَّ الولاية هي اعتماد العبد على وليٍّ وناصرٍ يُعين ويعضِّده، وهو مقصد من مقاصد النَّفس الَّتي تميل إلى مَن يتولّاها، فلمّا كان ذلك كذلك قُدِّم ذكرها، لنفي أيِّ ولاية متوهمة لدى المشركين، ثمَّ عُطف على ذلك نفي اتِّخاذ شركاء معه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91]، فالجملةُ المعطوفة "رَدٌّ على زَعْمِهِم بِأَنَّ اللّه اتَّخَذَ آلِهَتَهُم شُرَكاءَ لَهُ في مِلْكِهِ"[2]، وبه يكون نفي ولاية الشركاء مقدَّمًا على نفي أن يتخذ سبحانه شركاء، من باب تقديم نفي القريب المتخذ من دون الله، على البعيدِ المزعوم مع الله تعالى.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 302.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 302.

تنويع التعبير عن نفي الولاية ونفي الإشراك:

نفي تجدُّد تصور أن يكون مع الله شريك

عبَّر النظم بالجملة الاسميّة في نفي الولاية ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّ﴾، بينما آثر التعبير بالفعلية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، وذلك أنَّ الاسميَّة دالَّةٌ على ثبوت النَّفي المستمر في أذهان المشركين، فنفي الولاية أمرٌ ثابت مستمرٌ إذ هو أصل التوحيد والعقيدة وأُسُّ الدّين، أمّا نفي أن يُشرك الله أحدًا في حكمه فهو نفي لتصور متجدِّد في العقل البشريِّ، فأتت كلُّ صيغة بما تناسب معناها.

توجيه القراءات:

القراءات القرآنيّة غزارة معنى وقوّة مبنى

قَرَأَ الجُمهورُ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ بياءِ الغيبةِ على النَّفْي، وقَرَأَ ابنُ عامرٍ: ﴿وَلَا تُشْرِكْ﴾ بالتّاءِ والجَزم على النَّهْي[1]، فعلى قراءة الجمهور الضَّميرُ عائدٌ إلَى اسْم الجَلالَة في قَوْلِه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾، وعلى قراءةِ ابْنِ عامرٍ بتاءِ الخِطابِ وجَزْم ﴿تُشْرِكْ﴾ على أَنَّ (لا) ناهيَةٌ، والخِطابُ لرَسول الله صلّى الله عَلَيْه وآله وسلّم، مُرادٌ بِهِ أُمَّتُهُ، أَوِ الخِطابُ لِكُلِّ مَن يَتَلَقّاهُ[2]، فعلى قراءة الجمهور يكون نفيُ أن يكونَ الله تعالى قد اتخذ شركاء معه كما يزعم المشركون، وعلى قراءة ابن عامر يكون النَّهي عن مشابهة المشركين في اتخاذ شركاء، فبين القراءتين تكامل في الجمع بين النفي والنهي؛ لإفادةِ العمومِ الزماني.

نكتةُ تقديمِ القيد على المفعول:

الله مُستغنٍ عن خلقه في الخلق والأمر

تقديم قيد ﴿فِى حُكْمِهِۦٓ﴾ على المفعول ﴿أَحَدًا﴾؛ لبيان موطن الاهتمام، فإنَّ النَّفي على قراءة الجمهور والنهي على قراءة ابن عامر يُشيران إلى أنَّ حكم الله تعالى لا يكون إلا له من دون خلقه، وأنَّ مدار الأمر على نفي ما يُعتقد من إثبات ذلك للشركاء كما

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 117، وابن الجزري، النشر: 2/ 310.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 302.

زعم المشركون، أو أن يطرأ على هذه الأمَّة في إدخال حكمٍ على حكمِ الله تعالى.

سرُّ استعمال لفظ الحكم دون ما يُقاربه:

حكم الله تعالى داخل في ربوبيّته وألوهيته

آثر النَّظم استعمال كلمة الحكم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، والمراد الملك والأمر وما يدخل تحت دلالة لفظ الحكم، فيكون الحكم هنا مقصودًا به حكم الله تعالى في خلقه، وفي تصريف شؤون النّاس، وفي نهيه وأمره، فأوجز ذلك كلَّه في لفظ الحكم؛ لأنَّه لا يكون شيءٌ من ذلك إلّا بعد حكم الله تعالى، والله سبحانه جلَّ في علاه، لا يُشرك أحدًا في حكمه في ذلك كلِّه، فأوجز هَذا اللفظ في هذا السياق معاني كثيرة، ودلالات جمَّة.

نكتةُ إيثار لفظ ﴿أَحَدًا﴾:

لفظٌ وجيزٌ دالٌّ على معانٍ كثيرةٍ ودلالاتٍ كبيرة

آثرَ النَّظمُ استعمال لفظ ﴿أَحَدًا﴾ في هذا السّياق لغرضِ العموم، أي: لا يُشرك أحدًا في حكمه من الإنس والجن والملائكة، وما يزعمه المشركون من اتخاذ الآلهة والولد، وهذا على قراءة الجمهور النافية، وعلى قراءة النَّهي فللعموم كذلك، والمعنى لا تُشرك في حكم الله أحدًا من العلماء أو الحكام أو العوام أو أصحاب الأموال أو ما يزعمه المبطلون، أو أهل الكتاب، أو زاعمو العلم من المحرِّفين والمفسدين، فأدَّى هذا اللفظ إيجازًا بديعًا، أغنى عن الكثير من الألفاظ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللُّبثُ والمكثُ:

يغلب اللبث في الإقامة الطويلة، والمكث يغلب في الأناة

اللّامُ والباءُ والثّاءُ حَرْفٌ يَدُلُّ على تَمَكُّثٍ، يُقالُ: لَبِثَ بالمَكانِ: أَقامَ[1]، وهو مختصٌّ بالإقامة الطويلة والملازمة للمكان[2]، وفُسِّر اللبث

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لبث).
(2) الراغب، المفردات: (لبث).

بالمكث، وهو دالٌّ على التَّأخر والإبطاء في المكان"[1]، ويكون في الزمان والمكان[2]، بينما المكث فيَدُلُّ على تَوقُّفٍ وانْتِظارٍ[3]، فهو دالٌّ على الأَناةِ[4]، فاللبث يكون لما طال زمانه، ويغلب على المكث الأناة والرزانة.

الكهف والمغارة:

المغارة تجويفٌ هابطٌ في الجبلِ، والكهفُ أوسعُ منه

الكَهَفُ غارٌ في جَبَلٍ، وجَمعُه كُهوفٌ[5]، وهو كالمَغارة في الجَبَلِ إلّا أَنه أَوسع مِنها، فإِذا صَغُرَ فهو غارٌ[6]، والمغارة مأخوذة من الغورِ وهو المُنْهَبِطُ من الأرض، يقال: غارَ الرجل، وأَغارَ، وغارَتْ عينه غَوْرًا[7]، وعليه فالكهف أوسع وأشمل من الغار، وهو يتناسب مع عدد هؤلاء الفتية والكلب المرافق لهم.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (لبث).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لبث).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكث).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مكث).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كهف).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (كهف).
(7) الراغب، المفردات: (غور).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»